Journal of Libyan Academy Bani Walid 2026
مجلة الأكاديمية الليبية بني وليد
e-ISSN: 3104-3860
Volume 2, Issue 3, 2026, Pages: 307-320
Website: https://journals.labjournal.ly/index.php/Jlabw/index

The Dimensions of Place in Najwa Bin Shatwan's Novel Concerto Qurina Eduardo

Rehab Mohammed Issa Al-Shathouf [1*], Wisāl Ahmed Mohammed Ibrahim [2]
[1]Department of Literature, Faculty of Arabic Language, Sayyid Muhammad bin Ali Al-Senussi Islamic University, Al-Bayda, Libya.
[2] Department of Arabic Language, Literature Division, School of Languages, Libyan Academy for Postgraduate Studies, Al-Jabal Al-Akhdar Branch, Al-Bayda, Libya.
*Email:

أبعاد المكان في رواية كونشيرتو قورينا إدواردو لنجوى بن شتوان

رحاب محمد عيسى عبد الرحيم الشاظوف[1*]، وصال أحمد محمد إبراهيم[2]
[1] قسم الأدبيات، كلية اللغة العربية، جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية، البيضاء، ليبيا.
[2] قسم اللغة العربية، مدرسة اللغات، الأكاديمية الليبية للدراسات العليا – فرع الجبل الأخضر، البيضاء، ليبيا

Received: 13-03-2026	**Accepted:** 22-05-2026	**Published**: 04-06-2026
Copyright: © 2026 by the authors. This article is an open-access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

Abstract

This research endeavors to explore the "dimensions of space" in Najwa Bin Shatwan's novel, Concerto Qurina Eduardo, adopting a descriptive-analytical approach. It aims to deconstruct the narrative space through five primary dimensions—psychological, social, historical, political, and religious—in order to unveil their symbolic connotations. The study reveals that space transcends its role as a mere rigid geographical framework, emerging instead as an active narrative agent that reflects violent transformations, the collapse of social classes, and the hegemony of power. Furthermore, the findings illustrate how places have metamorphosed into mirrors embodying the characters' alienation, identity conflicts, and the attempts to reconstruct a lost collective memory. Ultimately, the research underscores the author's profound ingenuity in utilizing the text's geography as a living document that defies oblivion, confronting material and political devastation with a majestic spiritual history.

Keywords: Narrative Space, Collective Memory, Identity Conflict, Alienation, Semiotic Analysis.

الملخص

يسعى هذا البحث إلى دراسة "أبعاد المكان" في رواية "كونشيرتو قورينا إدواردو" للكاتبة نجوى بن شتوان، معتمدًا على المنهج الوصفي التحليلي، ويهدف إلى تفكيك الفضاء الروائي عبر خمسة أبعاد رئيسية: النفسية، والاجتماعية، والتاريخية، والسياسية، والدينية؛ لاستنطاق دلالاتها الرمزية، وقد كشفت الدراسة أن المكان يتجاوز كونه إطارًا جغرافيًا جامدًا؛ ليصبح فاعلاً سرديًا يعكس التحولات العنيفة، وانهيار الطبقات، وهيمنة السلطة، كما

أظهرت النتائج كيف تحولت الأمكنة إلى مرايا تجسد اغتراب الشخوص، وصراعات الهوية، ومحاولات ترميم الذاكرة الجمعية المفقودة، وخلص البحث إلى براعة الكاتبة في توظيف جغرافية النص كوثيقة حية تقاوم النسيان، وتواجه الخراب المادي، والسياسي بالتاريخ الروحي الشامخ.

الكلمات المفتاحية: الفضاء السردي، الذاكرة الجمعية، صراع الهوية، الاغتراب، التحليل السيميائي.

مقدمة:

لم يعد المكان في السرد الروائي المعاصر مجرد خلفية صامتة، أو إطار جغرافي جامد تدور في كنفه الأحداث، بل ارتقى؛ ليصبح ركيزة أساسية، وفاعلاً سرديًا يمتلك صوتًا، وحضورًا طاغيًا، إنه فضاء دلالي ينبض بالحياة يتنفس من خلال الشخوص، ويتفاعل معهم محولاً الجغرافيا إلى تاريخ، والجماد إلى شعور، وفي ضوء النقد الأدبي الحديث، لم يعد يُنظر إلى المكان بوصفه وعاءً للأحداث فحسب، بل ككيان سيميائي معقد يحمل شفرات النص، ورموزه؛ حيث تتجلى عبقرية السرد في قدرة الكاتب على أنسنة الأمكنة، وتحويلها إلى مرايا عاكسة تعج بالصراعات النفسية، والاجتماعية، والتاريخية، والسياسية.

وتكتسب تيمة المكان أهمية مضاعفة حين ترتبط بأدب الأزمات، والتحولات الكبرى؛ حيث يصبح المكان هو الحافظ للذاكرة الجمعية، والشاهد الأول على تقلبات الهوية، وتصدعات المجتمع، فالأمكنة تحمل في زواياها ندوب التاريخ، وتوثق بصمتها انهيار الطبقات، وتبدل الأنظمة، واغتراب الإنسان داخل وطنه، وفي هذا السياق تبرز رواية "كونشيرتو قورينا إدواردو" للروائية الليبية نجوى بن شتوان كأنموذج سردي فريد، يتجاوز فيه المكان وظيفته التقليدية؛ ليصبح بطلاً موازيًا يشارك في صياغة المأساة، وتشكيل الوعي.

لقد وظفت الكاتبة جغرافية النص الممتدة بين أطلال قورينا العتيقة، وشوارع بنغازي المثقلة بالتحولات، وفضاءات الغربة في إيطاليا؛ لتخلق نسيجًا روائيًا تتشابك فيه الأزمنة، والأمكنة، ومن هنا تنبثق الضرورة النقدية؛ لتفكيك هذه الأبعاد المكانية المتعددة النفسية التي تعكس اختناق الذات، والاجتماعية التي ترصد تفكك الروابط، والتاريخية التي تنبش في جذور الهوية المفقودة، والسياسية التي تفضح آليات القمع والمراقبة وصولاً إلى البعد الديني، والروحي، والغوص في هذه الأبعاد ليس مجرد ترف نقدي، بل هو مفتاح جوهري لفهم البنية العميقة للنص الروائي، واستيعاب رسائله المبطنة، واكتشاف كيف يمكن للرواية أن تعيد كتابة تاريخ الأوطان من خلال جغرافيتها.

مشكلة البحث:

تتبلور مشكلة البحث في التساؤل المحوري الآتي: كيف وظفت الكاتبة أبعاد المكان (النفسية والاجتماعية، والتاريخية، والسياسية، والدينية) في رواية "كونشيرتو قورينا إدواردو"؟، وكيف تفاعلت هذه الأبعاد مع الشخصيات، والأحداث؛ لتعكس التحولات العميقة في بنية المجتمع؟

فرضيات البحث:

يفترض البحث أن المكان في هذه الرواية ليس مجرد خلفية صامتة للأحداث، بل هو فاعل سردي رئيسي يمتلك سلطة التأثير على نفسيات الشخوص، ويعكس التصدعات الاجتماعية، والسياسية، ويستحضر الذاكرة التاريخية، والدينية كجزء من صراع الهوية.

أهمية الموضوع:

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يسلط الضوء على عنصر جوهري في البناء الروائي، وهو المكان، وتحديداً في رواية "كونشيرتو قورينا إدواردو" للكاتبة نجوى بن شتوان؛ حيث يكتسب المكان أبعادًا مركبة تسهم في تشكيل الهوية، ونقل التحولات العميقة، التي مر بها المجتمع الليبي، الأمر الذي يجعل دراسته ضرورة نقدية لاستكشاف جماليات النص السردي المعاصر.

أسباب اختيار الموضوع:

تعود أسباب اختيار هذا الموضوع إلى جملة من الدوافع الموضوعية، والذاتية تتمثل الدوافع الموضوعية في الثراء المكاني، الذي تتمتع به رواية "كونشيرتو قورينا إدواردو"؛ حيث لم تكتفِ الكاتبة بالتوثيق الجغرافي، بل جعلت من المكان (قورينا، بنغازي، إيطاليا) بؤرة للصراع، ومحركًا أساسيًا للأحداث، ومرآة تعكس التحولات السياسية، والاجتماعية العنيفة في ليبيا، وهذا ما يجعله مادة خصبة للتحليل السيميائي، والدلالي، وأما الدوافع الذاتية، والأكاديمية، فتكمن في الرغبة في تسليط الضوء على التجربة الروائية الليبية المعاصرة، وتحديدًا أدب نجوى بن شتوان، وتقديم مقاربة نقدية متعمقة تسد الفراغ في المكتبة العربية، نظرًا لقلة الدراسات التي تناولت هذه الرواية من زاوية التحليل المكاني الشامل بأبعاده المتعددة.

الدراسات السابقة:

تناولت العديد من الدراسات النقدية تيمة المكان في السرد العربي تنظيريًا، وتطبيقيًا على نصوص أخرى، منها دراسة صلاح صالح "قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر"، ودراسة مصطفى الضبع "استراتيجية المكان: دراسة في جماليات المكان السردي العربي". وفي حدود علم الباحثتان، تفتقر المكتبة العربية إلى دراسات نقدية مستقلة تناولت رواية "كونشيرتو قورينا إدواردو" تحديدًا من زاوية أبعاد المكان، وهو ما يجعل هذا البحث إضافة جديدة يتميز بتطبيقه المباشر على هذه الرواية، التي لم تستوفِ حقها من التحليل المكاني الشامل لأبعادها المتعددة.

منهج البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، مع الاستعانة بآليات المنهج السيميائي؛ حيث يتكفل المنهج الوصفي باستقراء النص الروائي، واستخراج الشواهد المكانية منه، وتتبعها في حين يتدخل المنهج السيميائي؛ لتحليل هذه الشواهد، وتفكيك أبعادها، واستنطاق دلالاتها الرمزية، والجمالية، والكشف عن الشفرات العميقة التي يخبئها الفضاء الروائي خلف بنيته المادية.

حدود البحث:

الحدود الموضوعية: دراسة أبعاد المكان: النفسي، والاجتماعي، والتاريخي، والسياسي، والديني.

الحدود المكانية (النصية): رواية "كونشيرتو قورينا إدواردو" للكاتبة نجوى بن شتوان.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة، وتمهيد يليه المتن؛ الذي يتناول خمسة محاور رئيسية تمثلت في: البعد النفسي، والبعد الاجتماعي، والبعد التاريخي، والبعد السياسي، والبعد الديني، ثم خاتمة تتضمن أبرز النتائج وقائمة بالمصادر والمراجع.

تمهيد:

المكان في السرد الروائي ليس مجرد وعاء فارغ تقع فيه الأحداث، بل هو كيان حي يتنفس، ويتفاعل مع الشخصيات، ويشكل وعيها، ويوجه مساراتها الحياتية، وتبرز قيمة الفضاء المكاني حين يتحول من طبيعته الجغرافية الصماء إلى بنية دلالية محملة بالرموز، والإيحاءات التي تعكس رؤية الكاتب للعالم، وموقفه من القضايا الوجودية، والاجتماعية، والسياسية المحيطة به، فالأمكنة تحمل ذاكرة الأفراد، والجماعات، وتختزن في زواياها أفراحهم، وأتراحهم، وانتصاراتهم، وانكساراتهم؛ لتصبح بذلك شاهدًا حيًا على التحولات التاريخية، والتقلبات الزمنية، التي تعصف بالمجتمعات الإنسانية، وتتجلى براعة الروائي في قدرته على أنسنة المكان، وجعله شريكًا فاعلاً في صنع الحدث، وتوجيه مسار السرد نحو غاياته الجمالية،

والفكرية العميقة؛ حيث يتجاوز الوصف السطحي للأشياء؛ ليغوص في أعماق الدلالات الرمزية، التي يفرزها التفاعل المستمر بين الإنسان، ومحيطه المكاني، وهو ما يخلق نسيجًا روائيًا متماسكًا تتشابك فيه خيوط الزمان، والمكان؛ لتشكيل لوحة فنية نابضة بالحياة تعبر عن تعقيدات التجربة الإنسانية في أبعادها المتعددة، والمختلفة، وتفتح آفاقًا واسعةً للتأويل، والقراءة النقدية المتعمقة، التي تسعى لسبر أغوار النص، واكتشاف كنوزه المخبوءة خلف الكلمات، والسطور.

أبعاد المكان:

إن أي نص روائي يطمح إلى العمق والخلود لا بد أن يتكئ على أبعاد جمالية، وفنية تتجاوز السطح المادي للأشياء، وهذه الأبعاد لها دور محوري وجوهري في تشكيل المكان، فهي التي تمنحه هويته السردية، وتخرجه من دائرة الجمود، والحياد؛ ليكون فاعلاً حقيقيًا في بنية النص، وتعمل هذه الأبعاد في تحديد، وتوظيف المكان في الخطاب السردي؛ حيث لا يعود مجرد وعاء فارغ تقع فيه الأحداث، أو مسرحًا صامتًا تتحرك عليه الشخصيات، بل يصبح لغة موازية تنطق بما تعجز عنه حوارات الشخوص، فالمكان في الرواية يُبنى، ويُصمم؛ ليتوافق مع الرؤية الفكرية للكاتب، وليعكس التحولات العميقة التي تمر بها الحبكة، وهو ما يجعل الفضاء الروائي فضاءً حيًا يتنفس من خلال الكلمات، ويشارك في صنع الحدث.

وفي هذا السياق يبرز الوعي النقدي، والإبداعي بأهمية تشكيل الفضاء الروائي؛ حيث لا يمكن تصور مكان سردي مقنع دون أن يكون متعدد الطبقات، والدلالات، وفي ذلك يتحدث جبرا ابراهيم جبرا عن تجربته عن المكان فقال: ((المكان يرتبط بوضع أبعاد له)) (صالح، 1997م، ص 42)، وهذا القول يختزل فلسفة البناء المكاني في الأدب، فالأبعاد هي التي تمنح المكان حجمه، وتأثيره، وهي التي تجعله قادرًا على احتواء التجربة الإنسانية بكل تعقيداتها، وتناقضاتها.

إن وضع أبعاد للمكان يعني شحنه بالدلالات الرمزية، وجعله قادرًا على إثارة الحواس، واستدعاء الذاكرة، وتوليد الانفعالات لدى المتلقي، فالمكان بلا أبعاد يبقى مجرد نقطة جغرافية مبهمة، أما حين تُضفى عليه الأبعاد، فإنه يتحول إلى وطن، أو منفى، وإلى سجن، أو ملاذ.

واستنادًا إلى هذه الرؤية العميقة انشغل الخطاب النقدي المعاصر بتفكيك الفضاء الروائي إلى مستويات متعددة تسهم في قراءة النص قراءة شاملة، ومحيطة بكل تفاصيله، وقد قام مجموعة من النقاد بوضح الأبعاد المكانية منها: (البعد النفسي، والبعد الهندسي، والبعد الاجتماعي) وغيرهن من الأبعاد، فالبعد الأول يغوص في علاقة الشخصية بمحيطها، وكيف ينعكس الخوف، أو الطمأنينة، والضيق، أو الاتساع على جدران المكان؛ ليعبر عن أزمات الذات الداخلية، أما البعد الثاني، فيُعنى بالشكل المادي للفضاء من حيث كونه مغلقًا، أو مفتوحاً عموديًا، أو أفقيًا، وكيف تفرض هذه الهندسة قيودها، أو تمنح حريتها للشخوص في حين يتكفل البعد الثالث برصد حركة المجتمع داخل هذا الحيز، كاشفاً عن التفاوت الطبقي، والعلاقات الإنسانية، والتحولات الثقافية، التي تترك بصمتها على ملامح المكان، وتاريخه، وتتضافر هذه الأبعاد جميعها؛ لتخلق عالمًا روائيًا متكاملاً يمتزج فيه الواقع بالخيال، والمادي بالروحي.

وبناءً على ما سبق فإن دراسة أي عمل روائي متميز تتطلب الغوص في هذه الطبقات المكانية لاستنطاق دلالاتها الخفية، وفهم آليات اشتغالها داخل السرد، ومن هذا المنطلق تتجه بوصلة هذا البحث نحو التطبيق العملي لهذه المفاهيم النقدية على نص سردي غني بتفاصيله، وفضاءاته، وقد نقوم بتتبع هذه الأبعاد في رواية كونشيرتو قورينا إدواردو ؛ حيث يتجلى المكان في هذا العمل ليس كخلفية باهتة، بل كبطل إشكالي يحمل على عاتقه عبء الذاكرة، والتاريخ، والتحولات المجتمعية العنيفة، وسنغوص في أعماق النص؛ لنستكشف كيف تضافرت هذه الأبعاد لتشكيل هوية الأمكنة؟، وكيف تفاعلت مع أزمات الشخوص، وانكساراتهم؟؛ لنقدم قراءة نقدية تكشف جماليات التوظيف المكاني في هذه التجربة الروائية.

1/ البعد النفسي:

من طبيعة الإنسان أن يتفاعل تفاعلاً عضويًا، ووجدانيًا مع المكان الذي يعيش فيه، فلا يقف أمامه موقف المتفرج المحايد، بل ينسج معه علاقة خفية ينبع من داخلها إحساس عميق، سواء أكان هذا الإحساس مفعمًا

بالارتياح، والألفة، أم مشوبًا بالارتياب، والقلق؛ أي أن المكان يترك طابعًا إيجابيًا، أو سلبيًا في تكوين الشخصية، ووعيها، وهذا التبادل الشعوري المستمر هو ما يحدده البعد النفسي في النص السردي؛ حيث يفقد المكان حياده الهندسي، والمادي ليصبح مرآة شفافة تعكس دواخل الشخوص واضطراباتهم.

إن تأثير البعد النفسي على المكان يتجلى بوضوح في ظاهرة الإسقاط الوجداني؛ حيث تقوم الشخصية بإعادة تشكيل ملامح الفضاء الخارجي وفقًا لخرابها الداخلي، أو سلامها الروحي، فيضيق الفضاء الواسع، والمفتوح إذا ما حاصرت الذاتَ مخاوفُها، وتتسع الغرفة الضيقة، والمغلقة إذا ما سكنتها الطمأنينة.

وتأسيسًا على ذلك يُعنى النقد الأدبي بهذا التداخل الوجداني، ويعرف البعد النفسي بأنه ((البعد العاكس لما يثيره المكان من انفعال سلبي، أو إيجابي في نفس الحال فيه)) (الضبع، 2018م، ص 76)، وانطلاقًا من هذا المفهوم يكون البعد النفسي من أكثر الأبعاد انتشارًا، وتأثيرًا في الفنون السردية، فالمكان لم يعد مجرد جدران صماء، أو ديكور خلفي، بل هو كيان حي يتعاطف مع الشخصيات، ويشارك في نفسيتهم، ويتقمص حالاتهم الشعورية، فالمكان في هذا السياق يكتسب نبضه من نبض الإنسان، فيبدو كئيبًا، وموحشًا حين تنكسر إرادة البطل، ويبدو مشرقًا، وحانيًا حين يلامس لحظات الفرح، والانتصار، وهو ما يجعل الفضاء الروائي فضاءً متغيرًا لا يثبت على حال، بل يتموج مع كل خفقة قلب، وكل صراع داخلي.

وبالنظر إلى هذا التشكيل الوجداني للفضاء نجد أنه قد تعددت الأماكن في رواية كونشيرتو قورينا ادواردو، ولم تكن مجرد محطات عبور جغرافية، بل تحولت إلى فضاءات مشحونة بالدلالات، وهذه الأماكن قد تفاعلت مع شخصيات الرواية، وأعطتها شعورًا داخليًا عميقًا اتجاهها، وتلونت بحالاتهم النفسية المتقلبة، وهذا الشعور يختلف من مكان لآخر تبعًا لطبيعة الحدث، والذاكرة المرتبطة به، فهناك أماكن تجردت من أمانها المعهود، وبعثت في الشخصيات شعور الخوف، والوحشة، والكآبة؛ لتغدو سجونًا نفسية تخنق أنفاسهم، وتضاعف من اغترابهم، وشتاتهم، وفي المقابل برزت أماكن أخرى شكلت ملاذًا روحيًا، وبعثت في الشخصيات شعور الطمأنينة، والحرية؛ حيث استطاعت الذات أن تتخفف من أثقالها، وتتصالح مع هويتها المفقودة وسط ركام الواقع.

وقد تجلى البعد النفسي في رواية **"كونشيرتو قورينا إدواردو"** بدءًا من شخصية البطلة **"ريم"**، التي تعاني من التأتأة تلك الفتاة، التي خلقت حاجزًا بينها، وبين العالم، وهو ما جعلها تعيش في عالم داخلي غني بالتأملات، والملاحظات التي لم تستطع البوح بها، لقد تأرجحت علاقة ريم بالمكان بين ضيق الحيز الجغرافي، واتساع الفضاء الداخلي، فكان المكان الخارجي يضغط على نفسيتها، ويحرجها، فالشارع، والمدرسة، والتجمعات، كلها مصادر للتوتر النفسي؛ إذ تزيد حدة التأتأة لديها كلما كان المكان غريبًا، أو عدائياً تمارس فيه سلطة القمع، الأمر الذي يدفعها إلى الانسحاب نحو مكانها الخاص في غرفتها، أو في خيالها.

وفي مقابل هذا الضيق الذي تفرضه الأماكن العامة يُعد المكان ذاكرة حسية في مخيلة البطلة ترتبط بالأصوات، واللمس، فمدينة "قورينا" (شحات) ليست مجرد حجارة في مخيلتها، وليست مجرد مسقط رأس، بل هي فضاء يمارس عليها تأثيرًا نفسيًا عميقًا، فعندما وقفت البطلة أمام الأعمدة الضخمة شعرت بالرهبة النفسية، والمكانية، فهي لا ترى هذه الأعمدة الرخامية مجرد حجارة صماء، بل تتخيل "الكونشيرتو" يُعزف بين ثناياها، وفي لحظة وقوفها تلك تختفي بنغازي الحديثة بضجيجها، وفقرها، وقمعها، وتصبح ريم امتدادًا لهذا الفراغ المهيب، لقد منحها المكان هنا شرعية الوجود، فكأن عرافة المكان هي التي تعوضها عن تشتت أصلها.

إن وقوفها الطويل أمام الآثار عزلها عن المجتمع السطحي؛ فالناس يرون "شحات" متنزهًا، بينما تراها ريم وطنًا روحيًا، وهذا ما يوسع الفجوة بينها، وبين الشخصيات التي لا تدرك هذا البعد النفسي، فترى ريم في قورينا، وسوسة أماكن ترتبط بجذورها، فهي مرابع أمها:

((هل زرت قورينا من قبل ؟

كثيرًا .. سوسة، وقورينا هي مرابع أمي... كنا نأتي، ونحن صغار إلى بيت جدي هنا، ونطيل البقاء في الصيف من أجل البحر)) (بن شتوان، 2023م، ص218).

ومن خلال هذا البوح كأنها تثبت علاقتها العائلية القوية بالمكان، فالزيارة ليست مجرد نزهة سياحية، بل هي تذكير بجذورهم الجميلة، وكأنها توحي بالاستمتاع، والراحة، والارتباط بالأرض، وما تحمله من ذكريات دافئة:

((لم يكن بيت تِتى أتريا الذي يشبهها في سوسة غريباً عنا، كان مألوفاً لنا، وفيه من الذكريات، والمشاعر الدافئة ما فيه، كيف لا؟ وهو نفسه بيت جدي الذي احتوانا صغاراً ...))(بن شتوان، 2023م، ص ص 202- 203).

غير أن دفء الذكريات، وشعور الراحة الذي وجدته ريم، وعائلتها في تلك الأماكن المفتوحة، يقف على النقيض تمامًا مما كابدوه في الأماكن المغلقة، وتحديدًا في شقة **"جليانة"**، وفيلات **"الفويهات"**، فالشقة كانت في البداية مكانًا تتجمع فيه العائلة، ولكن بعد موت **"كادي نينا"** تحول هذا الفضاء إلى بؤرة تتجمع فيها الرهبة، والخوف؛ لتصبح مرآة تعكس الصراعات الداخلية، والانهيارات التي تمر بها الشخصيات:

((ذات يوم رفع جدي رأسه قليلاً من أحزانه، وجلب عمالاً قاموا بإغلاق الصالون، وشرفته إلى الأبد، بتر الجزء المخيف من شقته، وألقى به إلى النسيان، أغلقه على ما فيه، كما تركته جدتي، الأثاث، المنسوجات، السجاد، الكؤوس، الشموع، التلفاز، النباتات، وصورة أبي، وجدي يعقوب على الجدار، أغلق الواجهة الوحيدة الفسيحة على البحر، وهكذا مات ذلك المكان من حياتنا، واستعمالنا نهائيًا، وفرضت التحويرات الجديدة على الشقة أن تضيق ويتغير مدخلها، ثم بدأت العائلة معاناة طويلة مع آثار تلك الرصاصة التي أراد بها أحدهم التعبير عن سروره فصنع مأساتنا)) (بن شتوان، 2023م، ص ص85 – 86).

وهنا عندما يُوصف المكان بأنه مات، فإن ذلك يعكس موتًا للشغف، أو الأمل داخل الشخصيات، فتحول الشقة من مكان فسيح إلى مكان ضيق يولد شعورًا بالحبس، والاضطراب؛ حيث يصبح المكان مصدرًا للتوتر، وانطفاء الحياة داخل الشخصيات، وهذا يوضح البعد النفسي للشقة، التي تحولت من مساحة للارتياح، والأمان إلى نصب للألم، والموت الداخلي.

وإذا كانت الشقة قد جسدت الاختناق، والموت الداخلي، فإن الانتقال إلى "الفويهات" لم يجلب السلام المنشود، فقد مثلت الفويهات في الرواية كفضاء هادئ، ومنظم، ولكن في داخله تعيش الشخصيات صراعات مريرة، فعلى الرغم ما يوفره من شعور بالأمان الجسدي، إلا أنه يثير القلق الوجودي؛ فمع اتساع المكان لم تشعر الشخصيات بالراحة، والأمان ((الفويهات فضاء بكرًا تنتهي به معمورة بنغازي من الغرب))، (بن شتوان، 2023م، ص 23) فتعيش الشخصية هنا صراعًا بين الرغبة في الاستقرار داخل حدود المدينة، وبين نزعة الهروب نحو الفضاء المفتوح، وكون المنطقة تطل على الفضاء، فقد أثار ذلك في نفوس الشخصيات قلقًا من المجهول؛ لأنه يقع على حدود العدم، وعلى الرغم من اتساع المكان، إلا أن الشخصيات - وخصوصًا ريم- لم تشعر بالراحة العميقة داخل الفيلات، ولم تجد فيها خصوصيتها.

ويمتد هذا الاغتراب المكاني من الفضاء المنزلي إلى الفضاءات العامة المؤسسية، فقد كانت ريم تعاني نفسيًا في الأماكن العامة؛ بسبب مرضها، وصعوبة تواصلها؛ إذ تزيد هذه الأماكن من الضغط النفسي عليها كلما كانت مكتظة، وحتى (المدرسة)، التي يُفترض أن تكون بيئة آمنة للتعلم، أصبحت مصدرًا للقلق الوجودي، والخوف من المجهول، رغم حبها لموادها الدراسية:

((رغم محبتي للمدرسة فإن وقتي فيها مضى، وأنا منقبضة القلب بسبب شيء حدث، أو شيء سيحدث، ولا أعرف ما هو؟، دافعت تلك المحبة عن المدرسة، وعني، وإلا لكنت كرهتها، وكرهت نفسي بالقدر الذي كرهت به معلماتي، ونفرت من معاملتهن الجافة لي)) (بن شتوان، 2023م، ص161)

يظهر البعد النفسي هنا في انقباض القلب، فالمدرسة لم تعد مكانًا للعلم، بل ساحة لزرع كره الذات، وصراع مرير مع الهوية.

وتأسيسًا على ما سبق يتضح أن الأماكن في رواية **"كونشيرتو قورينا إدواردو"** تلعب دورًا مهمًا في تشكيل نفسية الشخصيات، فالانتقال من مكان إلى آخر في الرواية كان في جوهره رحلة داخلية، فكل وصف لخرابة، أو شارع، أو شاطئ في ليبيا هو في الحقيقة تجسيد لحال شعورية تمر بها الشخصية، ومحاولة لترميم مكان الذاكرة أملاً في ترميم ذواتهم المنكسرة، وفي مقابل هذا الشتات المحلي، تبرز "روما" كمركز ثقافي، وحضاري يرتبط بالماضي، والجمال الفني في الوقت ذاته، غير أن هذا التناقض يولد ضغطًا نفسيًا إضافيًا على الشخصيات، فهي تجذبهم بجمالها، وعراقتها، لكنها تذكرهم أيضًا بالانكسارات التاريخية.

وهكذا نرى أن الأماكن في الرواية لم تكن مجرد ديكور للأبطال، بل تشكلت هوياتهم بناءً على علاقتهم المتوترة أحيانًا، والدافئة أحيانًا أخرى مع جغرافيا ليبيا، وإيطاليا، وتاريخهما المشترك.

2/ البعد الاجتماعي:

تعد الرواية من حيث نشأتها، وتطورها، فنًا اجتماعيًا بامتياز، فهي المرآة العاكسة التي تتجلى عليها تناقضات المجتمع، وحركته التاريخية، وبنيته الثقافية، وفي هذا السياق لا يُنظر إلى المكان الروائي بوصفه حيزًا جغرافيًا محايدًا، أو مجرد وعاء هندسي فارغ، بل بوصفه فضاءً اجتماعيًا مشحونًا بالدلالات الطبقية، والأيديولوجية، فهو الحيز الذي تتشكل فيه هويات الأفراد، وتُصاغ فيه قوانين العيش المشترك، وتُمارس فيه أشكال السلطة، والهيمنة، ومن هنا يُعرّف البعد الاجتماعي للمكان بأنه ((هو البعد، الذي يتبدى في العلاقات الاجتماعية الرابطة بين الشخصيات في تقاليدهم، وطبائعهم، وما يعترضهم من مشكلات، وقضايا)) (مقلاتني، 2017م، ص11).

إن تأثير هذا البعد على الشخصية الروائية تأثير جذري، وعميق، فالمكان الاجتماعي هو الذي يمنح الشخصية ملامحها، ويحدد لغتها، وطريقة تفكيرها، ومستوى طموحها، بل ويتحكم في مصيرها، فالشخصية التي تنشأ في فضاء مهمش، أو عشوائي تتشكل بداخلها آليات دفاعية، ونفسية تختلف كليًا عن تلك التي تنشأ في فضاء برجوازي، أو سلطوي، فالمكان يفرض على الشخصية دورها الاجتماعي، ويضعها في مواجهة حتمية مع محيطها، وفي الجانب الاجتماعي يتناول الأديب بعض المشاكل الاجتماعية كالتخلف، والفقر، والظلم للمرأة، وغيرهن من القضايا وأيضًا بعض من العادات، والتقاليد الاجتماعية في المجتمع، الذي تظهر في الأحداث، وهذه القضايا تجتمع في مكان ما، ويعمل عليها الكاتب؛ لتحقيق ما يريد من طرح تلك القضايا الاجتماعية.

فالمكان في فن الرواية يتحول إلى مسرح تُختبر فيه القيم، وتُعرّى فيه التناقضات، فالشارع، والمقهى، والمصنع، والبيت ليست مجرد ديكورات خلفية، بل هي مؤسسات اجتماعية مصغرة تفرض قوانينها غير المكتوبة على الأفراد، وتبرز عبقرية الروائي في قدرته على جعل المكان ناطقاً بهذه التحولات، من خلال علاقة المجتمع / المكان بالإنسان؛ حيث يصبح الفرد / الجماعة عاكسًا لطبيعة المجتمع بوصفه صانعًا لأفراده (الضبع، 2018 م)، ويتحقق البعد الاجتماعي إذا أصبح المكان يسهم في الأفراد في الناحية الاجتماعية، وبذلك يغدو المكان الروائي وثيقة سوسيولوجية حية، تُقرأ من خلالها صراعات الهوية، وتوزيع الثروة، وموازين القوى، وهو ما يجعل دراسة البعد الاجتماعي للمكان مدخلاً أساسياً لفهم فلسفة النص الروائي، ورسالته.

ويبرز البعد الاجتماعي في الرواية من خلال معالجة أزمة **"الهوية الهجينة"**، فالرواية لا تقدم مجتمعًا متجانسًا، أو ثابتًا، بل ترسم ملامح مجتمع تشكلت هويته تحت وطأة الاستعمار، والتحولات السياسية المتعاقبة، فنجوى بن شتوان لا تصف مجتمعًا مستقرًا، بل مجتمعًا يشبه مدينة "قورينا" نفسها، كأنه طبقات من الحضارات المتراكمة؛ حيث يعيش الناس فوق أنقاض تاريخهم، وتتداخل القيم الحديثة مع التقاليد البالية، والبعد الاجتماعي هنا ليس مجرد وصف فلكلوري للعادات، بل هو تصوير لمجتمع يحاول استعادة هويته المفقودة، ويظهر ككيان مُشتت يشبه الآثار المحطمة، فالعلاقات بين الرجل، والمرأة، وبين الحاكم، والمحكوم تعاني جميعها من تصدعات ناتجة عن تراكم الحروب، والتحولات السياسية المفاجئة، ويظهر هذا التصدع بوضوح في المقارنة بين حقبتين: الحقبة الملكية/الإيطالية، التي تُستحضر في الرواية كزمن

للرقي الموسيقي (الكونشيرتو)، والتعايش النسبي، والحقبة العسكرية/الشعوبية، التي تميزت بالخشونة الاجتماعية، وتراجع الذوق العام، وصعود قيم مادية نفعية، فهذا التحول العنيف أدى إلى خلق أزمة أخلاقية، واجتماعية؛ حيث أصبح الفرد الليبي ممزقًا بين حنينه لماضٍ لا يملكه، وواقع لا يشبهه.

ولترجمة هذه التحولات مكانياً، وظفت الكاتبة "البيت"؛ ليكون مرآة عاكسة للتغيرات الاجتماعية في المجتمع الليبي، خاصة التحول من البيوت التقليدية إلى الفيلات، التي تعكس الثراء، أو السلطة، ثم تحولها لاحقًا إلى أماكن مهجورة، أو مسكونة بالخيبة، فالشقة التي بناها الجد "أحمد عمران" تمثل ارتباط العائلة بجذورها "القرنفلية"، وهي بقايا مكانة اجتماعية؛ لطبقة فقدت نفوذها، فانعزال الأسرة داخل هذه الشقة يعكس فشلها في الاندماج في المجتمع الجديد، الذي فرضه النظام الاشتراكي، بل أصبحت الشقة شاهدًا اجتماعيًا على انهيار الطبقة الميسورة، وسقوط خطاب المساواة القسري متحولة إلى فضاء يرمز إلى الغياب، والموت الاجتماعي (بن شتوان، 2023م)، وتتوقف الحياة داخلها بينما يشهد الخارج تحولات عنيفة؛ فبعد تطبيق النظام الاشتراكي، وفقدان الأسرة لمصنعها، تغيرت حالتها الاجتماعية جذريًا؛ حيث أدى هذا النظام إلى تأليب من لا يملك على من يملك، ومن يملك أقل على من يملك أكثر، بتعلة إحداث ثورة اشتراكية، وكأن الاستيلاء على مال الآخر أصبح حقًا ثوريًا (بن شتوان، 2023م) ، وبدلاً من بناء مجتمع متكافل، أدى هذا التحريض إلى كسر الروابط الاجتماعية؛ حيث أصبح الجار يراقب ملكية جاره، والموظف يتجسس على مديره.

وفي هذا السياق المشحون بالريبة، تم استدعاء الأثرياء، وأصحاب رؤوس الأموال للتحقيق في كيفية جمع ثرواتهم، فبرز قانون **"من أين لك هذا؟"**، وبدأ المحققون الأمنيون ـــالمنحدرون من الطبقات الوسطى، والفقيرةـــ تحقيقات واسعة مع من نعتوهم بالبرجوازيين، وانطلقت حملات اعتقال واسعة (بن شتوان، 2023م)، وقد أدى تفعيل قانون "من أين لك هذا؟" إلى حال من الريبة العامة، فالمجتمع توقف عن رؤية النجاح المالي كثمرة للجهد، وبدأ ينظر إليه كمصدر محتمل للفساد، مما غيّر نظرة الأفراد لبعضهم البعض، وقد كشف هذا عن السقوط المدوي للطبقة الميسورة أمام سياسات النظام الجديد، وهو ما تجلى في التغير الاقتصادي، والاجتماعي للأسرة بعد الزحف على المصنع، والاستيلاء على الشقق: ((مقتل أبي، والزحف على المصنع، واستيلاء المستأجرين على الشقق في عمارة جليانه!)) (بن شتوان، 2023م، ص 56)، وهكذا يتقاطع الخاص، والعام في رسم ملامح التحول الاجتماعي، وانهيار الطبقات.

أما الانتقال إلى الفيلات في "الفويهات"، فلم يكن مجرد انتقال جغرافي، بل محاولة للتحرر من الماضي، والانفصال عن ذاكرة الانكسار المرتبطة بالشقة، والمصنع المؤلم، إنها تكشف صراع الهوية بين الماضي، والحاضر، وتُعد فضاءً اجتماعيًا يرمز إلى إعادة توزيع المكانة الطبقية في بنغازي؛ حيث يصبح السكن نفسه علامة على الانتماء الاجتماعي الجديد، وتمثل "الفويهات" في الرواية طبقة اجتماعية جديدة تبحث عن الاتساع، والرفاهية، لكنها تكشف في الوقت ذاته عن التوتر بين الانفصال عن الماضي، ومحاولة بناء هوية جديدة: ((وكان البناء فيها أقل كلفة لبعده عن المركز)) (بن شتوان، 2023م، ص 23)، وعلى الرغم من أن البناء أقل تكلفة لبعده عن المركز، إلا أن ذلك جعلها أرضًا خصبة للطبقة الطموحة، التي تبحث عن رفاهية بأسعار أقل، وتسعى لإثبات مكانتها الاجتماعية المستحدثة.

وعلى النقيض من محاولات الرفاهية تلك كشفت الرواية حال الفقر، والتقشف القاسية التي مر بها المجتمع في تلك الفترة، وكيف أثرت الحروب، والسياسات على البيوت الليبية: ((نال كل بيت حصته من الأحزان العمومية... تمزقت الأواصر، والروابط؛ بسبب انتشار الوشاية كأسلوب عيش، كان لها ثمن مغرٍ، وكانت في سبيلها أن تصبح طريقة كثيرين للحصول على المال...)) (بن شتوان، 2023م، ص132)، وهنا لم يعد البيت حصنًا، أو مكاناً للراحة، بل أصبح مسرحاً للصمت، والخوف، ومكانًا تُمارس فيه سياسة التقشف التي لا ترحم: ((كنا أمام سلع محددة، بضع علب حليب قد تحضر، وقد تختفي في الحصة الشهرية علب طعام معجون...)) (بن شتوان، 2023م، ص132)، لقد تحولت الجمعيات الاستهلاكية من مرفق خدمي لتوزيع

الغذاء إلى أداة لكسر الكرامة الاجتماعية؛ ليصبح المكان الاجتماعي ساحة للصراع اليومي، والمذل من أجل البقاء.

ولعل أعمق تجليات البعد الاجتماعي في الرواية يكمن في توظيف الكاتبة لـ "تأتأة ريم"، فهذه العلة ليست مجرد أزمة فردية، بل هي انعكاس لبيئة اجتماعية تمارس القمع، وتصادر حرية التعبير، فريم تعاني من اختلال في التواصل يخلق فجوة بين عالمها الداخلي، وبين القيود التي يفرضها المجتمع، وغالبًا ما ترتبط تأتأتها بذاكرة الأماكن، التي شهدت أحداثًا صادمة، فهي لا تستطيع إكمال جملتها في مجتمع متسلط؛ لتعبر بجسدها، وصوتها المتقطع عن أزمة الهوية داخل هذا المكان، إنها تمثل تجسيداً لصرخة مكتومة داخل جدران الأمكنة، التي تفتقر للأمان والحرية: ((طفلة سينبذها الناس؛ بسبب التأتأة، ولن تكون مرغوبة للزواج في مجتمع لا يرى نقصه، وينشد كمال الآخرين)) (بن شتوان، 2023م، ص 116)، وتعبر ريم هنا عن معاناتها مع صعوبة النطق، وكيف يُصدر المجتمع أحكامه المسبقة بنبذها لمجرد وجود هذا العيب البسيط، واصفةً إياه بأنه مجتمع يتغافل عن عيوبه الأخلاقية الكبرى، في حين يطالب أفراده بالمثالية، والخلو من العيوب، ومن هنا يُعد توظيف الكاتبة لـ "تأتأة ريم" تجسيدًا دقيقًا لحال الكبت، التي يعيشها الفرد في مجتمع يصادر حريته، ولا يمنحه المساحة الكافية للتعبير عن ذاته.

3/ البعد التاريخي / الزمني:

يعد البعد التاريخي، أو الزمني من أهم الركائز، التي تمنح النص الروائي عمقه، وثقله الدلالي؛ إذ لا يمكن في النقد الحديث فصل المكان عن الزمان، فالمكان هو الوعاء المادي الذي تتجسد فيه حركة التاريخ، والزمان لا يُرى إلا من خلال التغيرات، التي يتركها على ملامح المكان، وفي هذا السياق، يُعرّف البعد التاريخي بأنه استدعاء أمكنة تاريخية، وتوظيفها في الخطاب السردي، وهو الزمن، والأثر الكامن في المكان، وأشيائه المشكلة لجغرافيته (الضبع، 2018م)، وهذا الاستدعاء لا يقتصر على الوصف الخارجي للأطلال، أو المعالم القديمة، بل يتجاوز ذلك إلى استحضار أحداث تاريخية في زمن، وشخصيات تاريخية، وتداخلها في المكان الروائي، فالتاريخ لا يُصنع في الفراغ، بل إن التاريخ بوصفه أحداثًا ما هو إلا حلول الإنسان في مكان؛ حيث يُعتبر الإنسان بوصفه فاعلاً، والمكان هو مساحة يتحرك فيها الإنسان الصانع لهذا التاريخ، وتلك الأحداث التي توصف بالتاريخية (حارسة، 2001م)، وبناءً على ذلك يصبح المكان الروائي وثيقة حية تسجل تفاعل الإنسان مع محيطه عبر الحقب المختلفة، وتتحول الجغرافيا إلى "ذاكرة جمعية" تقاوم النسيان، والمحو.

ومن هنا يكتسب المكان التاريخي قيمته الجمالية، والرمزية في السرد؛ فالأبنية العتيقة، والمدن الأثرية ليست مجرد ديكور ماضوي يُزين خلفية الأحداث، بل هي نصوص موازية تُقرأ من خلالها تحولات الأمم، وصراعات الهوية، وأمجاد الماضي، وانكساراته، وتأسيسًا على هذه الرؤية يتجه النقد الأدبي إلى العناية بهذا الجانب، وهو ما نلمسه عند الناقد صلاح صالح، الذي قارب البعد التاريخي في دراسته للأمكنة الروائية، مبينًا أن هذا البعد يتجلى بوضوح من خلال استنطاق جماليات بعض هذه الأبنية التاريخية، أو المدن الأثرية (صالح، 1997م)، وتوظيف هذا البعد في الرواية يسمح للكاتب بخلق حوار خفي بين الماضي، والحاضر؛ حيث يُسائل المكانُ التاريخيُّ الحاضرَ المأزوم، ويُذكّر بالهوية المفقودة، الأمر الذي يجعل دراسة هذا البعد ضرورة نقدية لاستكشاف كيفية توظيف الروائي طبقات الزمن المتراكمة في بناء معمارية النص، وتشكيل وعي شخصياته.

وبناءً على ذلك يُعد المكان التاريخي جزءًا مهمًا تتكثف داخله أبعاد الزمان، فلا يكون مجرد فراغ هندسي، وبتتبع البعد التاريخي في رواية "كونشيرتو قورينا إدواردو"، نجد أنه ليس مجرد خلفية للأحداث، بل هو عنصر جوهري في البناء السردي، فمدينة "قورينا" وردت في الرواية كرمز للإرث الحضاري الليبي، واختيار اسم "قورينا" في عنوان الرواية يربط السرد بالهوية التاريخية، ويجعل المكان جزءًا لا يتجزأ من الذاكرة الجمعية، وتتحدث الرواية عن معالم هذه المدينة، وإرثها الإغريقي، والروماني؛ لتأكيد هذا العمق: ((ساعدني العجوز المغبر الذي إن قابلته في الشارع ظننته عامل بناء، أو حفار قبور، وهو بالفعل حفار

للمقابر الإغريقية، والرومانية، ونباش لتاريخها. هيكل عظمي جففته عوامل التعرية، وثيابه بحاجة إلى الرمي)) (بن شتوان، 2023م، ص 214).

إن الإشارة إلى وجود المقابر الإغريقية، والرومانية تجعل من المكان مسرحًا لاستحضار التاريخ، والنبش في الذاكرة، وعملية "النبش" هنا تتجاوز الفعل المادي؛ لتوضح الثيمة الأساسية في الرواية، ألا وهي البحث في طبقات الزمن، والهوية المفقودة.

ويتعمق هذا البعد حين يتقاطع السرد مع وقائع تاريخية حقيقية، كما يظهر في الحوار الآتي:

((دعيني أساعدك، صرت كتمثال المرأة المحجبة، أتمنى ألا يراك لصوص الآثار فيخطفوك، ثم من دون عراقيل فيزا، وترانزيت هووب تجدين نفسك في دبي، ومنها في أمريكا)) (بن شتوان، 2023م، ص 215).

وفي موضع آخر يضيف السرد:((تعلمين أن النيكروبوليس تزيد عن 50 كم، سنرى ما يسمح الوقت لرؤيته)) (بن شتوان، 2023م، ص 215).

إن النص هنا لا يتحدث عن تمثال خيالي، بل يشير إلى قطعة أثرية ليبية حقيقية (تمثال المرأة المحجبة) يعود تاريخها إلى القرن السادس قبل الميلاد، وهو ما يربط أحداث الرواية بجذور تاريخية تمتد لأكثر من 2500 عام، كما يوثق النص واقعة تاريخية حديثة، وهي تهريب هذا التمثال من مدينة شحات إلى دبي، ومنها إلى الولايات المتحدة، قبل أن تنجح الدولة الليبية في استعادته، فهذا التوظيف للحدث التاريخي يضفي على الرواية واقعية مريرة، ويجعل من قضية "الهوية المنهوبة" موضوعًا مركزيًا، أما ذكر "النيكروبوليس"، فهو إشارة تاريخية إلى مقابر قورينا، التي تُعد واحدة من أكبر، وأقدم المقابر الأثرية في العالم، فالبعد التاريخي هنا يعمل كمرساة، رغم حال الغبار، والدمار والعمل الشاق، الذي يقوم به "إدواردو"، ويبقى التاريخ هو الشيء الثابت الذي يمنح المكان قيمته الحقيقية.

لقد تعمدت نجوى بن شتوان ذكر الآثار في الرواية؛ لتؤكد أن ليبيا ليست مجرد فراغ سياسي، أو ساحة للصراعات الحديثة، بل هي أرض ذات تاريخ طويل يتجاوز الأنظمة المتعاقبة، ولذلك تحفل الرواية بذكر العديد من المدن الأثرية ذات الثقل التاريخي الكبير في العصور القديمة:((من خلال التحليق المنخفض أمكنني رؤية الجبل الأخضر من فوق كاملاً، ورؤية حدود ليبيا، والساحل الشرقي كاملاً، الأودية، السفوح، المدن الأثرية، قورينا، سوسة، طلميثة، الأثرون، رأس الهلال، البيضاء، وضواحيها، ومعظم القرى الأثرية المتناثرة هنا، وهناك)) (بن شتوان، 2023م، ص 243).

إن هذه المدن ليست مجرد نقاط جغرافية على الخريطة، بل هي مخازن للذاكرة، والتاريخ؛ حيث تركز الرواية على أبعاد المكان الجغرافية، وتحولها إلى فضاء بصري، وتاريخي ممتد.

إن توظيف نجوى بن شتوان للأماكن في الرواية، واختيارها لمدن مثل بنغازي، قورينا، سوسة، وإيطاليا، ليس مجرد توثيق جغرافي، بل لأن كل مدينة تحمل بعدًا تاريخيًا خاصًا، فمدينتا قورينا، وسوسة تعملان كشاهد على الصراع، والتعايش بين الحضارات القديمة، والواقع الليبي المعاصر؛ حيث تصبح الآثار فضاءً للبحث عن الذات، والهروب من واقع مشوه، وتظهر بنغازي كفضاء مدني يجمع بين الأصالة، والتحولات العنيفة؛ لتمثل نقطة الالتقاء بين الشخصيات، والواقع اليومي المثقل بالذاكرة السياسية، بينما تمثل إيطاليا امتدادًا لمرحلة الاستعمار الإيطالي في ليبيا، وهو ما يتجلى بوضوح في اسم الرواية "إدواردو"، وفي العلاقات التاريخية، والإنسانية المتشابكة بين الشخصيات.

4/ البعد السياسي:

يُقصد بالبعد السياسي للمكان في الخطاب السردي ذلك الفضاء، الذي تتجلى فيه آليات السلطة، وعلاقات الهيمنة، والصراعات الأيديولوجية؛ حيث يتحول الحيز الجغرافي إلى أداة للضبط، والرقابة، أو مسرح للمقاومة؛ ليعكس تأثير الأنظمة الحاكمة في تشكيل الأمكنة، ومصادرة حريات الأفراد.

ويعد البعد السياسي في رواية كونشيرتو قورينا أحد أهم المحاور، التي تبنى عليها الدلالة السردية؛ إذ لا يظهر بوصفه خطابًا مباشرًا، أو شعارات سياسية واضحة، بل يتجسد في شكل ممارسات يومية، وإشارات ضمنية، وحالات خوف، وصمت، وارتباك تعكس طبيعة السلطة في المجتمع الليبي خلال الفترات، التي

ترصدها الرواية، فالسرد لا يقدم السياسة كحدث خارجي منفصل، بل كقوة خفية تتغلغل في تفاصيل الحياة الخاصة، والعائلية.

وفي هذا السياق يتحول المكان الروائي من مجرد حيز جغرافي محايد إلى "فضاء مُسيَّس" يخضع بالكامل لهيمنة السلطة، وأجهزتها الرقابية، فالسياسة في هذا العمل لا تُقرأ في الساحات العامة، والميادين، والخطابات الرسمية فحسب، بل تُقرأ بوضوح في جدران البيوت، وفي الممرات المعتمة، وفي همسات الشخوص المرتجفة، فقد عمدت الكاتبة إلى إبراز كيف تقوم السلطة المستبدة بأدلجة المكان؛ حيث يصبح كل شبر في الجغرافيا خاضعًا لعين الرقيب، وهذا يلغي الحدود الفاصلة بين ما هو عام تملكه الدولة، وما هو خاص يملكه الفرد.

لقد نجحت الرواية في تصوير كيف تستبيح السلطة القمعية حرمة الأمكنة المغلقة، محولةً إياها إلى زنازين نفسية، ومصائد للوشاية، فالبيت الذي يُفترض أن يكون الملاذ الآمن، والحصن الأخير للإنسان يُخترق بفعل الخوف المتبادل، وقوانين المصادرة، وتدخلات اللجان؛ ليصبح الفرد غريبًا، ومحاصرًا داخل جدران غرفته، وهذا التغلغل السلطوي يخلق حالاً من "البارانويا" (جنون الارتياب) المكانية؛ حيث تفقد الأمكنة وظيفتها الأساسية في الإيواء، والسكينة، وتكتسب وظيفة جديدة تتمثل في الترويع، والضبط، والسيطرة على أجساد، وأرواح المواطنين.

وعلاوة على ذلك يعكس البعد السياسي في الرواية التحولات العنيفة، التي عصفت بالدولة الليبية من تقلبات الأنظمة إلى سياسات التأميم وصولاً إلى غياب هيبة الدولة، وتُظهر الرواية كيف أعادت هذه القرارات السياسية الفوقية تشكيل الخريطة العمرانية، والاجتماعية للمدن، فالمصانع تُصادر، والشقق تُنتزع، والآثار تُنهب في ظل حضور دولة القمع، وغياب دولة القانون، وهكذا يصبح المكان في "كونشيرتو قورينا إدواردو" وثيقة إدانة سياسية، وشاهدًا صامتًا على عصور من الاستبداد، التي شوهت علاقة الإنسان بوطنه، وجعلت من الجغرافيا مجرد مساحة؛ لتنفيذ إرادة الحاكم على حساب المحكوم، وهو يمهد الطريق لفهم كيف وظفت الكاتبة العمارة، والمؤسسات الأمنية كأدوات لتكريس هذا البعد في متنها السردي؟.

لقد جعلت نجوى بن شتوان من المكان في الرواية أداة سياسية بامتياز، فالعمارة السكنية في النص لم تعد مجتمعًا تعاونيًا آمنًا، بل تحولت إلى برج للمراقبة يظهر هذا جليًا من خلال تحذير الابن لأبيه: ((لا تتحدث بصوت عالٍ للحيطان آذان)) (بن شتوان، 2023م، ص28)، وهذا التحذير يحول الممرات، والدرج، والحيز السكني إلى فضاء سياسي مرعب؛ حيث يصبح الجار عينًا للسلطة، وهو ما يلغي صفة السر، والخصوصية، ويجعل الفرد مكشوفًا تمامًا أمام أجهزة القمع، ولا يقتصر الأمر على الجدران، بل يمتد إلى الأجهزة المنزلية؛ حيث تقول الكاتبة: ((تلفزيونات العمارة كلها مفتوحة تتابع بطل الصوت العالي. أخرج رأسك من باب الشقة، وستسمع صراخه يملأ السلالم)) (بن شتوان، 2023م، ص 28)، فلا يُعتبر التلفزيون هنا مجرد جهاز للترفيه، بل هو ذراع إعلامية للسلطة داخل العمارة يعكس كيف يفرض صوت القائد هيمنته المكانية على المجال السمعي للمواطنين، وهذا حول البيوت من أماكن للراحة إلى ساحات لتلقي الخطابات السياسية القسرية.

وفي سياق تتبع هذه الهيمنة مثلت الرواية حقبة سياسية معينة اتسمت بالترهيب، فرغم محاولات التمسك بالحياة الطبيعية تتدخل السلطة لكسر هذا الأمان: ((زادت مخاوف جدي، لكن المصنع استمر في العمل بوتيرة عادية، ثم اسُتدْعِي جدي لأول مرة إلى التحقيقات، أدرك جدي من مجيء الزائر الغريب من هو؟ ولماذا جاء؟، قال له الرجل الغريب: الأفندي يحتاجك في دردشة غدًا صباحًا في جهاز الأمن الداخلي)) (بن شتوان، 3023م، ص32)، ويبرز مقر الأمن الداخلي هنا كمكان جوهري للبعد السياسي في النص، فهو ليس مجرد مبنى إداري، بل أداة لترسيخ سلطة النظام، وبث الرعب، وفي المقابل يمثل (المصنع) المكان الخاص بالجد، ورمزًا للنشاط الاقتصادي المستقل، لكن بمجرد دخول "الرجل الغريب" إليه يتحول المصنع من مساحة عمل شخصية إلى ساحة مراقبة أمنية خاضعة لرغبة السلطة السياسية، التي تسعى للسيطرة على حياة الأفراد، ومصادر رزقهم.

وتتصاعد وتيرة هذا التدخل المكاني مع إشارة الرواية إلى ما عُرف بـ "الزحف الأخضر"، والذي يعكس تحول ليبيا إلى دولة اشتراكية في فترة السبعينيات، لقد انعكس هذا التحول السياسي العنيف على الأمكنة الخاصة، مثل مصنع الجد والبيوت؛ حيث أدت "مصادرة الأملاك" إلى جعل المكان رمزًا لفقدان الحرية الفردية، فقد قدمت الرواية بانوراما مكانية سياسية لليبيا تمتد من السبعينيات حتى ثورة عام 2011م، حين تحولت الأمكنة بما فيها السجون إلى فضاءات تجسد القمع السياسي؛ ليصبح المكان مرآة تعكس تسلط السلطة، وانهيار المجتمع، وجراح الذاكرة.

وقد ولّد هذا التسلط الخانق حال من الضغط النفسي، والسياسي على الشعب، دافعاً إياهم إما للهروب خارج الوطن، أو البقاء في الداخل مع تجرع الخوف، وتقبل القمع، وتصف الرواية هذه الحال من الترويع الممنهج، الذي يدفع المواطن للتخلي عن مكانه،

وممتلكاته: ((لم يكن ثمة خطأ، أو ذنب ارتكبه جدي يدفعه إلى الفرار من ليبيا إذا ما كان القصد تخويفه، وترويعه لدفعه إلى التخلي، والنفاذ بجلده)) (بن شتوان، 2023م، ص 36).

ومن زاوية سياسية أخرى لا تقتصر الرواية على إدانة حضور السلطة القمعي، بل تدين أيضًا غياب الدولة ككيان وطني يحمي مقدراته، ويتجلى هذا الغياب في ترك الممتلكات الوطنية، والهوية التاريخية عرضة للنهب؛ حيث تحول المكان الأثري من موقع وطني محمي إلى غنيمة مستباحة، وباتت الآثار منزوعة الرعاية، والحماية هدفاً سهلاً لعصابات التهريب المحلية، والدولية، وكأن الوطن الذي يتفنن في قمع مواطنيه يعجز عن توفير الحماية لتاريخه؛ ليصبح مخزنًا مفتوحًا تُنهب كنوزه لصالح أماكن أخرى أكثر قوة، ونفوذًا في العالم.

ويتضح مما سبق أن البعد السياسي في الرواية لم يُطرح كفكرة مجردة، بل تجسد في عدة قضايا سياسية تم عرضها عبر أمكنة متفرقة، تنوعت دلالاتها حسب الغاية من توظيفها في النسيج السردي (بن شتوان، 2023م).

5/ **البعد الديني:**

يُشكل البعد الديني للمكان في الخطاب الروائي فضاءً تتجلى فيه ثنائية المقدس، والمدنس، فيتجاوز الحيز الجغرافي وظيفته المادية؛ ليصبح وعاءً للروح، وملاذًا للإنسان في مواجهة قسوة الواقع، واغترابه الوجودي، فالأمكنة الدينية من معابد، وكنائس، ومساجد، ومقابر لا تحضر في السرد بوصفها معالم معمارية فحسب، بل بوصفها شواهد حية على المعتقدات، ومستودعات للذاكرة الروحية، والطقوسية التي شكلت وعي الجماعات عبر التاريخ، وفي هذا الفضاء المشبع بالقداسة تبحث الشخصية الروائية عن طمأنينتها المفقودة، أو تستعيد من خلاله هويتها الثقافية المتجذرة في عمق الزمن.

وانطلاقًا من هذا الفهم، وظفت نجوى بن شتوان البعد الديني للمكان في الرواية؛ ليكون جسرًا بين الماضي، والحاضر، وأداة سردية، ورمزية فاعلة؛ لتصبح المعابد، والمقابر، والبيوت الروحية شهودًا على التاريخ، ووسيلة لفهم الصراع بين المقدس، والمدنس، وبين الهوية، والاغتراب، وتُعد مدينة "قورينا" في الرواية بؤرة هذا المكان؛ إذ لم تتعامل معها الكاتبة كأطلال صامتة، بل كفضاء مشبع بالقداسة الوثنية القديمة، التي تتداخل مع الوعي المعاصر، فعند ذكر المعابد، والكنائس في الرواية لا تُقدم بوصفها مجرد حجارة، بل كشواهد على عقائد قديمة، وصلوات مرت على أرض ليبيا، مثل: ((معبد زيوس، ومعبد أبولو)) (بن شتوان، 2023م، ص244).

ويستمر هذا الاستحضار المكاني الروحي في قوله: ((والكثير من المعابد، والنصب، والكنائس)) (بن شتوان، 2023م، ص 244)، فذكر أسماء آلهة إغريقية كبرى، ومعابدها يُحيل مباشرة إلى الفضاء الديني، الذي يمثل الحياة الروحية، والطقوسية في تلك الحقبة.

ولا يقتصر البعد الديني على التاريخ القديم، بل يمتد ليشمل التاريخ الحديث لمدينة بنغازي، حيث نقرأ: ((حكى جدي عن الكنيسة اليونانية المطلة على فيا تورينو، وكتدرائية بنغازي على البحر، والكنيسة الصغيرة في الصابري، والفويهات، والبركة، والمقبرة المسيحية في جليانة)) (بن شتوان، 2023م، ص

65)، إن النص هنا لا يكتفي بذكر الكنائس اليونانية، والمقبرة المسيحية كمعالم جغرافية، بل يوظفها ليوضح أن الدين في تلك الفترة لم يكن منغلقًا، بل كان موزعًا في أحياء مدينة بنغازي، وهو ما يعني أن صوت الأجراس كان يختلط بصوت الأذان في حيز جغرافي، ووجداني واحد؛ ليعكس حالاً من التعايش، والتسامح المكاني.

وختامًا لهذا البعد يتضح أن استحضار البعد الديني للمكان عند نجوى بن شتوان لم يكن مجرد ديكور جامد تمر من خلاله الأحداث، بل تحول إلى بنية دلالية عميقة تسهم في صياغة الهوية الثقافية، والدينية، والسياسية للشخصيات، لقد جعلت الكاتبة من جغرافية شرق ليبيا الأثرية مكانًا مشحونًا بالأرواح، والآلهة القديمة، والموتى؛ ليقف هذا التاريخ الروحي الشامخ في مواجهة القبح، والخراب المادي، والسياسي، الذي شهده الوطن في العقود الأخيرة.

الخاتمة:

تنسج الرواية خيوطها لتطرح رؤية كلية تتجاوز المألوف، حينما تنطق الأمكنة بما سكتت عنه الشخوص، وتتبلور ثمار هذه الرؤية السردية في التجليات الآتية:

1- برزت فاعلية المكان السردية من خلال خروج الجغرافيا من حيادها الصامت؛ لتتقمص دور البطولة الخفية، فالأرض، والجدران في هذا النص تنبض وتتألم، وتشارك بفاعلية في صياغة أقدار العابرين فوقها، محولةً التضاريس إلى خرائط للوجع الإنساني.

2- أثمر توظيف البعد النفسي عن انصهار الخراب الداخلي في قوالب معمارية؛ حيث تتخلى الملاذات الآمنة عن دفئها المعهود، فتصبح الغرف المغلقة، والساحات المألوفة شراكًا تعكس وحشة الروح، وتضاعف من اختناقها الوجودي.

3- تجسدت دلالات البعد الاجتماعي في تحول العتبات، والبيوت إلى سجلات غير مكتوبة تروي قصة التآكل المجتمعي، فكل شق في جدار، أو انتقال قسري من حيز لآخر، يهمس بسقوط طبقات، وتلاشي روابط، وتبدل عنيف في ملامح الانتماء.

4- أسهم استحضار البعد التاريخي في استنطاق الأطلال؛ لتكون بوصلة للتائهين، فالمدن الغافية تحت غبار الزمن لم تُستحضر كزينة سردية، بل كجذور حية تتشبث بها هويات ممزقة تأبى الذوبان في ركام الحاضر المشوه.

5- عكس التشكيل المكاني للبعد السياسي تمدد ظلال السلطة؛ لتبتلع حميمية الزوايا المغلقة، فتفقد الأبواب قدرتها على الحجب، وتتحول الهندسة المنزلية إلى عيون، وآذان تترصد الأنفاس، وتغتال طمأنينة الفرد في عقر عزلته.

6- أفرز تقاطع البعد الديني مع المكان انبثاق طوق نجاة روحي من بين شقوق الحجارة العتيقة؛ حيث تتعانق أصداء الصلوات القديمة، والحديثة؛ لتخلق فضاءً مقدسًا يقف في وجه الخراب، ويفضح التناقض المرير بين طهارة الأرض، ودنس الواقع.

7- تُرجمت حركة الانتقال، والترحال المكاني إلى تجسيد للترحال المستمر بين ضيق الداخل، ورهبة الخارج كطقس من طقوس التعافي في محاولة مضنية؛ لترميم أرواحٍ شظتها صراعات الوطن، وتركت على جدرانها ندوبًا لا تمحوها الأيام.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

بن شتوان، نجوى، (2023م)، كونشيرتو قورينا إدواردو (ط. 3)، منشورات تكوين.

ثانيًا: المراجع:

صالح، صلاح، (1997م)، قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر (ط. 1)، دار شرقيات للنشر والتوزيع.
الضبع، مصطفى، (2018م)، استراتيجية المكان: دراسة في جماليات المكان السردي العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ثالثًا: الرسائل الجامعية:

حارسة، منال بنت عبد العزيز، (2001م)، الذات المسرودة على لسان الأنا: دراسة في نماذج من الرواية العربية [رسالة دكتوراه غير منشورة]، جامعة الملك سعود.

رابعًا: البحوث الجامعية:

مقلاتني، حنان، (2017). أبعاد المكان ودلالاته في رواية البيت الأندلسي لواسيني الأعرج: دراسة سيميائية [مذكرة ماستر غير منشورة]، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، الجزائر.

Bin Shatwan, Najwa. (2023). Concerto Qurina Eduardo (3rd ed.). Takween Publishing.

Saleh, Salah. (1997). Issues of Narrative Space in Contemporary Literature (1st ed.). Dar Sharqiyat for Publishing and Distribution.

Al-Dabaa, Mustafa. (2018). The Strategy of Space: A Study in the Aesthetics of Arab Narrative Space. General Egyptian Book Organization.

Harisa, Manal bint Abdulaziz. (2001). The Narrated Self in the First Person: A Study in Models of the Arabic Novel [Unpublished doctoral dissertation]. King Saud University.

Maqlatni, Hanan. (2017). Dimensions of Space and its Significations in Waciny Laredj's Novel 'The Andalusian House': A Semiotic Study [Unpublished master's thesis]. 8 Mai 1945 University Guelma, Algeria.

Compliance with ethical standards

Disclosure of conflict of interest

The authors declare that they have no conflict of interest.

Disclaimer/Publisher's Note: The statements, opinions, and data contained in all publications are solely those of the individual author(s) and contributor(s) and not of **JLABW** and/or the editor(s). **JLABW** and/or the editor(s) disclaim responsibility for any injury to people or property resulting from any ideas, methods, instructions, or products referred to in the content.